

الرستميات

خمس قصائد نادرة

لأبي سعيد محمد بن محمد الرستمي الأصبهاني

شاعر البلاط البويهى

للاستاذ أبي محفوظ الكريم المعصومي

أستاذ التفسير والحديث

بالمدرسة العالية كالكوتا (بالمهند)

قرأت لأبي سعيد الرستمي قطعات رائعة و قصائد رائعة أوردتها أبو منصور الثعالبي في كتابه السائر الذكر - يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر - وهو المصدر الوحيد الذى يزودنا بلمع في أخباره على قلة جدواه من الناحية التاريخية، ويعرفنا بتبريزه في حلبة شعراء الدولة البويهية، وبمكانته السامية في بهرة قصائد العتبة الصحابية. كما يمتعنا بما اعترف له الاقران بكل ما استحق من التنويه اللائق بشأوه المتناهى.

هو محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم - هكذا ساق نسبه الثعالبي، وقال: من أبناء أصفهان وأهل بيوتاتها، ومن يقول الشعر في الرتبة العليا، ومن شعراء العصر في الطبقة الكبرى (١) اه. وكذلك سماه مفضل المافروخي (٢) في محاسن اصفهان، وابن خلكان في وفيات الاعيان (٣) على أنهما ذكراه عرضا.

- ١- يتيمة الدهر - ج ٣ ص ٢٧٢ ط. الصاوى سنة ١٩٣٤ م.
- ٢- محاسن اصفهان - ص ٩٤-٩٥ ط. طهران،
- ٣- وفيات الاعيان - ترجمة ابن هيوس رقم ٦٨٤ ط غوتنجن سنة ١٨٣٥، (ص ١٠٠-١٠١).

هذا وذكره السمعاني في الأئساب (١) فقال . . . منهم الشاعر
 التحرير أبو سعيد الرستمي ، و إذا ذكرت نسبهم فيعرف نسبه اهـ . و توا
 بعد ذلك قال (٢) : و منهم أبو محمد هارون بن علي بن الحسن بن علي بن
 الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم الدمشقي (؟) الاصبهاني . . .
 اهـ . ثم انه نص على ان هارون بن علي هذا جده الرستمي أبو سعيد .
 فانتج هذا أنه الحسن بن علي و ذلك يختلف تماما مما تقدم عن الشعالي
 و هو من صغار أقران الرستمي و عن المافروخي و هو على تأخر زمانه من
 أبناء تربته و ذوى المعرفة بأسرته . فكان قولهما حريا بان نستند اليه
 بل و تقتضى النصفة ان يحمل قول السمعاني على انه اراد جده من
 قبل أمه .

كانت الأسرة الرستمية من الأسر الشهيرة و البيوتات الأصبيلة
 في أصبهان و صاحبنا أبو سعيد من أشهر من أنجبهم و من
 أكفأها آل جنيد الذين انتمى اليهم أبو سعيد من جهة أمه . و قد ألمع
 الصاحب اسماعيل بن عباد في بعض رسائله بما اختص به الأسترتان من
 نباهة الذكر و ذلك اثناء تعريفه بأبي سعيد — ”أما (٣) العمومة ففي آل
 رستم و ثم الذروة و الغارب و لواء العجم و غالب ، و ”أما الخؤولة
 ففي آل جنيد كما قال شاعرهم في سعد و سعيد“ ، اهـ .

لعل الأسرة الرستمية دخلت الاسلام في بعض العقود الأخيرة
 من المائة الثانية كما سنلقى الضوء على ذلك .

أما رستم الذي انتمى اليه البيت و انتمى اليه نسب أبي سعيد فلا
 نعرف شيئا عنه و لا عمه هو فوقه على وجه التحقيق . و لعله عاش
 بين القرن الثاني و الثالث و يغلب على الظن أن علي بن رستم هو الذي

١- الأئساب — الورقة ال ٢٥٢ .

٢- المرجع السابق — ٢٥٢ ب ،

٣- يتيمة الدهر - ج ٣ - ص ٢٧٣ .

ترجم له أبو نعيم في أخبار اصفهان (١) فقال : علي بن رستم بن المطيار الطهراني ، أبو الحسن . . . توفي سنة ثلاث و ثلاثمائة ٥هـ .

ولعله أعقب ولدين الحسن بن علي بن رستم و هو جد جد الرستمي صاحبنا ، و القاسم بن علي بن رستم ، أنشد المافروخي لابنه أحمد بن القاسم بن علي بن رستم الديمرقي أبياتا في محاسنه (٢) .

و الحسن بن علي ابنه محمد بن الحسن جد محمد والد أبي سعيد ،
و ابنه الحسن بن محمد أعقب ولدين أحدهما محمد والد أبي سعيد ،
و الآخر أبو غالب هاشم بن الحسن بن محمد الرستمي ، و هو عم
أبي سعيد ، أنشد له المافروخي (٣) قطعة في ١ بيتا منها :

و يالهي على كرماء كانت بسطوتها على الجلي تباها
كعترة رستم و بني زياد و أولاد الحضيبي و من تلاها

و من آل رستم المتقدمين محمد بن مردة بن رستم (٤) ، قديم
الموت ترجم له أبو نعيم و علي بن محمد بن رستم أبو الحسن ترجم له (٥)
أيضا : و أبو علي أحمد بن محمد بن رستم المدني أنشد له المافروخي (٦)
بيتين و هجاه محمد بن أحمد الشهير بابن طباطبا الأصفهاني فقال (٧) :

أنت أعطيت من دلائل رسل الله آيا بها علوت الرؤوسا
جئت فردا بلا أب و يميننا ك بياض فانت عيسى و موسى

- ١- أخبار اصفهان - ج ٢ ص ١٠ ،
- ٢- محاسن اصفهان - ص ٦٥ ،
- ٣- المرجع السابق - ص ٩٥ ،
- ٤- أخبار اصفهان - ج ٢ ص ٢١٨ ،
- ٥- المرجع السابق - ص ١٣ ج ٢ ،
- ٦- محاسن اصفهان - ص ١ ،
- ٧- معجم الادباء - ج ١٧ ص ١٥٦ ،

ولعله الذى ذكره ابن الاثير فى (١) اللباب فقال : أبو علي أحمد بن رستم المارباني عامل السلطان توفى سنة ٢٩١ هـ. بأصبهان ، وهذه النسبة الى ماربان قرية يقرب أصبهان .

و من متأخريهم المعاصرين للمافروخي المطيار بن أحمد بن زيدان الرستمي (٢) و أبو غالب القاسم بن محمد الرستمي (٣).

و ذكر السمعاني أبا محمد هرون (٤) بن علي وهو حفيد أبي سعيد كما تقدم عنه . و لقي ابن حفيده الآخر أبا علي الحسن بن العباس بن علي و كتب عنه بأصبهان . كانت ولادته فى سنة ٦٨٠ هـ. (٥) و توفى سنة احدى وستين و خمسمائة (٦) .

هاتيك الشواهد التى تكفى للدلالة على ما احتله آل رستم الأصبهانيون من مكانة فى حقل الثقافة الاسلامية الى منتصف المائة السادسة للهجرة على انه لم يواصلنا تفصيل ذلك بدقة و اهتمام .

ليس عندنا شىء نحدد به مولد أبي سعيد ، إلا أن الظاهر من القرائن أنه ولد فى منتصف القرن الرابع ، حتى صار يساير الأقران فى مضممار الشعرو القريض حوالى سبعين و ثلثمائة . و ذلك بدليل وفادته على مؤيد الدولة بن ركن الدولة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ . فقد مدحه الرستمي وعضد الدولة الغلاب حى يرزق . ولعل اقدم ما وصل الينا من شعره قصيدة بائية (٧) قالها فى الصباح حينما أعيد الى وزارة مؤيد الدولة و ذلك فى سنة . . .

١- اللباب فى تهذيب الانساب - ج ٣ ص ٧٩ و اسم القرية فى محاسن اصفهان ماربين راجع ص ١٤١ ، و ماربانان ، انظر ص ٩٩ .

٢ - (٣) محاسن اصفهان - ص ٣١ ، ص ٣٣ - (٤) الانساب - ٢٥٢ ب

٥- المرجع السابق ٢٥٢ ب (٦) طبقات الشافعية الكبرى - ج ٤

ص ٢١١ .

٧- ستأتى فى هذه المجموعة .

وكذا لسنا على بينة من تاريخ وفاته ، إلا أنه رثا صاحب المتوفى
سنة ٣٨٥ هـ فقال (١) :

أبعد ابن عباس يهش إلى السرى أخو أمل أو يستماح جواد
أبي الله إلا أن يموتا لموته فما لهما حتى المعاد معاد
فلا يبعد أن يعيش إلى نهاية المائة الرابعة مع أننا لا ندري كم طال به
الأمد . على ان الشيخ أحمد أبا علي يقول في تراجم شعراء (٢) المنتحل :
ولم أقف على تاريخ وفاته و غاية ما وقفت عليه أنه من شعراء
أوائل القرن الخامس للهجرة . اهـ . وليته أدلى في ذلك بما أوقفه على
هذه الغاية .

يؤخذ من كلمة (٣) تائية لأبي سعيد أن أسرته دخلت الاسلام
في عهد الرشيد العباسي (سنة ١٧٠ هـ) . ولكنها اختارت التشيع مذهباً
والاعتزال معتقداً فكذلك نشأ أبو سعيد حتى شب و شاب على تلك
العقيدة المتمسكة بروح الأعاجم وقد عبر عن ذلك بما فيه غنى عن
مزيد البسط حيث قال :

رشيدية الاسلام شيعية المهوى و للعدل و التوحيد معتقدات
ولعل هذه النزعة كانت من أقوى الأسباب لاتصاله بالبلاط البويهى
ثم لمزيد اختصاصه بالصاحب الذى يقول (٤) - "ان المذهب
مذهب الاعتزال" - كدأب أبيه في ذلك و قد كتب الصاحب الى
أبي الحسن الشقيقى البلخى (٥) : من نظر لدينه نظر لدنياه ، فان آثر
العدل و التوحيد بسطنا لك الفضل و التمهيد ، و ان أقيمت على الجبر
فليس لكسرك من جبر ، اهـ .

١- يتيمة الدهر - ج ٣ ص ٢٨٠ ،

٢- المنتحل - ص ٣٥١ ،

٣- تأتي في هذه المجموعة ،

٤- معجم الأدباء - ج ٦ ص ٢٨٤ ،

٥- المرجع السابق - ج ٦ ص ٢٨٦ ،

على أن هذه العقيدة ان لم تتلاش تماما بعد أبي سعيد فانها اخذت
تتضاءل على مر السنين الى أن أصبحت الأسرة الرستمية تنتشر عن
بعض أفرادها السنة ومقدمهم في ذلك أبو محمد هرون بن علي حفيد
الرستمي ، قال السمعاني (١) كان أحد العدول بأصبهان ، سمع أبا بكر
محمد بن عبدالله بن زبدة الضبي مات سنة ٨٧ هـ. وكان ابن أخيه الحسن
بن العباس يفتي على مذهب الشافعي. و روى عنه الكبار من حفاظ
المائة السادسة كابن السمعاني وابن عساكر وأبي موسى المديني محمد
بن أبي بكر وأبي مسعود عبدالجليل بن محمد الحافظ المعروف بكوتاه .

كان الرستمي - علي ما يستنتج من شعره - شعوبياً ، شديد
التمهجين للعرب ، فخوراً بما أثر شعبه القديمة و متفانياً في العصبية للفرس
تاريخاً وديانة . تبدو فيه هذه الثورة على العرب بأشد غليانها في كلماته
المؤيدية خاصة . و ذلك لأسباب ثلاثة : طبعي ، وشبه طبعي أو
إعتقادي و إنتهازي .

فالأول أنه عجمي بحت ، نشأ في بيئة وظروف حبيت إليه الفرس
قديمها وحديثها . و الثاني ، كما تقدم ، أنه منذ نعومة أظفاره اعتقد
بآراء الشيعة المشتبكة بثقافة الموابذة والمهرا بذة و بتقديسها . و الثالث
أن آل بويه الديلمية كانوا غلاة في التشيع مع غلوهم في الغض من
العرب و كانوا آنذاك في الصف الأول من زعماء النهضة .

ولعل هذه الثورة على العرب ، كانت أشد ما يكسب للشاعر
عطفهم وأقوى سبب لا ثارة أريجيتهم ، و على كل حال فان الرستمي من
شدة الطراز الأول بقديمت الفرس . و هذه النبذ الحماسية في تضاعيف
شعره كما توضح لنا ميوله العاطفية ، فانها كذلك تمثل أمامنا صورة
للا اتجاهات الفكرية التي كانت تسود العجم في ذلك الوقت حتى

أنها انتجت طوال الحماسيات كالشاهنامجات للدقيقي و الفردوسى و لكن النخوة و الحمية اللتين أبان عنهما الرستمى فى شذوره الحماسية نكاد لا نمر بما يضاهاها فى شعر معاصريه المتعربين من أبناء جلدته ، إلا على وجه الشذوذ والندرة . فدونكم القطع الآتية له فى المعنى :

من الرستميات اللواتى إذا انتمت دعت حتى كسرى دون حتى مناة
إذا انتسبت فى الفرس يوم فخارها غدون بيت النار مفتخرات
نواشئ أرض الفرس لا الشام دارها ولا جلبت فى سبى ذى الجلبات
حرائر لم يعرفن عزي وأختها مناة و لم تحلف بحرمة لات
وهى (١) من كلمة له فى المؤيد و له من أخرى مؤيدية (٢) :
من آل ساسان الألى ساسوا العلى فينا و ساقوا الملك اى مساق
قوم إذا وأد البنات سواهم لم يدفنوها خشية الأيملاق
وله يتفاخر بتاريخ شعبه :

بهاليل غر من ذؤابة فارس إذا انتسبوا لامن عريضة او عكل (٣)
همو راضة الدنيا وساسة أهلها إذا افتخروا لراضة الشاة و الأبل
و يقول فى صاحبية :

مرازب لو داراهم آل دارم الى الفخر أخزوا دارسا و تميمه (٤)
همو ورثوا احساب كسرى و هرمز و حلوا من الشعب الأغر صميمه
حسبنا هاتيك الشواهد القليلة لنقدر بما مدى ضراوته بثلب العرب
ولو تحدر إلينا ديوان شعره تماما لامكن لنا الوقوف على شطر كبير مما
جادت به قريحة الشاعر فى هذا الباب .

١- ستأتى فى هذه المجموعة .

٢- ستأتى فى هذه المجموعة .

٣- من مقطوعة له أوردها دهخدا فى معجمه "لغت نامه" نقلا عن

يتيمة الثعالبي (راجع لغت نامه ج ٢ ص ٥١١ سنة ١٣٢٥ خ) و البيت الأول
لم أجده فى اليتيمة (راجع ج ٣ ص ٣١٦ طبعة حجازى بالقاهرة) ،

٤- من قصيدة نادرة تأتى فى ضمن الرستميات .

ومما تجدر الإشارة إليه ان الرستمى مع تلك النخوة الكسروية ،
يفتخر بها اوقى من حظ وافر في اللغة العربية حيث يقول :

انا من قد عرفت سرا و جهرا عجمى نمابه التعرريب (١)
ويقول ايضا :

اذا نسبونى كنت من آل رستم ولكن شعرى من لوى بن غالب (٢)
انه عاش - فيما يظهر - مصروف الهم الى ضيعته و عقاره و
مستشبا بالثناء مدة عمره شان كثير من ابناء اصفهان الذين قرأنا في
أخبارها (٣) لابي نعيم عن علاقتهم بالثناء بصفة خاصة . و لكنه من
سوء الحظ ظل يلقي الشدائد طول حياته . فلا تخلو كلمة من قصائده
المؤيدية و المدائح الصحابية من شكوى الزمان فكم شكا اليهم
اضرار التناءة به مع كثرة العيال ، و كم تشكى اليهم من جور العمال ، و
سالمهم التسويغ و اخراج ضياعه من الاقطاع ! تشهد بكل ذلك مقاطيع
كثيرة فى ضمن قصائده الطوال . فدونكم ما ورد فى قصيدة ملكية (٤)
حيث قال :

ضياعى نهى قد تفرق شملها فما فى يدي منهن الا الانامل
فكم ضيعة مالت لآبواب مالها قناتي و غيرى منه نشوان مايل
إلى أن قال :

و هل أرنى يوما و كيلي حاضرى أناقشه طورا و طورا أساهل
و يخرج باسمى فى الأوارج كاتب حسابا و يستأدى خراجى عامل
و كذلك فى قصيدته الدالية الصحابية نحو خمسة عشر بيتا عبر فيها
عن تأذيه من الضرائب الباهظة و شدة وطأة الحياة عليه تراجع لها

١- يتيمة الدهر - ج ٣/٦٠٣ ،

٢- المرجع الأنف - ج ٣/٣٠٠ ،

٣- أبو نعيم : أخبار اصفهان - ج ٢ ص ١١١ ، ايضا ص ١٥٦ ، ايضا
ص ١٦٧ .

٤- يتيمة الدهر - ج ٣/٣٠٤ ،

يتيممة (١) الثعالبي .

أما شكواه من كثرة العيال فمما قال في ذلك :

ولولا فراخ زعزع الدهر وكرها على وقد غال الجناح غوائله
اعرت ظلال الحر نفس ابن حرة تقاصره الأيام ثم تطاوله (٢)
وقال :

واذى فراخ ضاق بي أوكارها وكذا البغات كثيرة الأولاد (٣)

لم يكن الرستمي من الأدباء المعتمدين على صناعة الشعر كحرفة يرتزقون منها فقد كان اعتياده في ذلك على التناوء ، الا ان اضرارها به مرة بعد مرة كان السبب المباشر لا تحاذه القريض وسيلة تؤديه الى بعض ماآربه . ومن هنا نراه يرتحل أحيانا الى بلاط الدولة البويهية مشيدا بمجدها الزاهر ومستدرا من فضلها الزاخر . فتارة الى حضرة بويه بن ركن الدولة الشهير بمؤيد الدولة (ت ٣٧٢) ، و أخرى الى عتبة الوزير صاحب اسماعيل بن عباد الطالقاني (ت ٣٨٥) . ولعله لم يكن يطيل اللبث عندهما كما لم يلزم أحدا غيرهما . فان معظم شعره المنحدر الينا لا يكاد يعدوها قط ، اللهم الا ما أورد له الثعالبي من قصيدة في علي بن أبي القاسم . ويغلب على الظن انه لم يتعلق باهداب الوزير صاحب في السنوات الأخيرة من وزارته لفخر الدولة . و بما يدل على مزيد اختصاصه بالصاحب قوله (٤)

لست من أمدح الملوك ولا أنضى المطايا و لا الفلاة أجوب

أنا للصاحب الجليل أبي القاسم مولى و خادم و ربيب
ولكنه مع ذلك اختار العزلة و آثر الانقطاع تماما حتى عن البلاط

١- انظر ج ٣/٣٠٩ - ٣١٠ ،

٢- المرجع السابق ج ٣/٣١٣ ،

٣- المرجع السابق - ج ٣ ص ٣٠٩ ،

٤- المرجع السابق ج ٣ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ،

الصاحبي . و ربما كان الصاحب متألماً من طول غيبته كما يوضح ذلك ما كتب الى أبي العباس الضبي بخصوص أبي سعيد وهذا بعض فقره (١) "وليس ذلك ما يوجب ان يطوينا طي الرداء ويلقى عهدنا القاء الحذاء . " وأخال الثعالبي يعلل ذلك قائلاً ما نصه - "و بلغنى ان أبا سعيد لما أسفر له صبح المشيب وعلته أبهة الكبر أقل من قول الشعر اما لترفع نفسه واما لتراجع طبعه" ، على اننى اظن البيت التالى لأبي سعيد أصدق شاهد على رأيه المبيّت في ذلك :

تركت الشعر للشعر—راء انى رأيت الشعر من سقط المتاع (٢)
و بالجمله فان بقايا شعره تدلنا على ما امتاز به كلامه من قوة عارضة
و حسن السبك و رقة ألفاظ و وقع انغام . و لعله لم يجاوز الحق
فيما قال (٣) :

و اذا ما دعوت شعري فيه طرب المدح و استمهّل النسيب
مدح كالنسيب رقة ألفاظ و ما للنسيب فيه نصيب
و حسبنا رأى الصاحب في شعره "و كان (٤) يقول مرة هو أشعر أهل
مصره ، و تارة هو أشعر أهل عصره ، و يقدمه على أكثر ندمائيه و صنائعه
و ينظمه في عقد المختصين به" .

و كفى له فخرا ما ورد عند ياقوت (٥) فهذا قوله : و حدث ابن بابك
قال سمعت الصاحب يقول مدحتُ والعلم عند الله ، بمائة ألف قصيدة شعر

- ١- يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٠١ ،
- ٢- راجع يتيمة الدهر - ج ٣ ص ٣١٩ ،
- ٣- المرجع السابق ج ٣ ص ٣٠٦ ،
- ٤- المرجع السابق - ج ٣ ص ٣٠١ ،
- ٥- ارشاد الأريب - ج ٦ ص ٢٦٣ و قارن يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٩٠
و ص ٣٠٧ .

عربية وفارسية ، وقد انفقت اموالي على الشعراء و الأُدباء و الزوار
و القصاد ، ما سُرت بشعر ولا سَرني شاعر كما سَرني أبو سعيد الرستمي
الأصبهاني بقوله :

ورث الوزارة كبرا عن كابر مرفوعة الإسناد بالإسناد
يروى عن العباس عباد وزا رته و اسماعيل عن عبّاد
وقال الثعالبي (١) : ومن نظر في شعره المستوفى أقسام الحسن و
البراعة ، المستكمل فصاحة البداوة و حلاوة الحضارة ، أقبلت عليه
الملح تتزاحم ، و الفقر تتراكم ، و الدرر تتناثر ، و الغرر تتكاثر ، اهـ .
و تقدم عن السمعاني وصفه اياه بالشاعر النحرير و كذلك ذكره
المافروخي (٢) في عداد المقتضبين للأشعار المنقحة و المخترعين للمعاني
المستملحة من أبناء اصفهان .

و يجدر أن أتلو عليكم أبياتا له في معان متفرقة محلها من عيون
شعره محل الحدقة من المحاجر ، و الكحل من النواظر ، فمما أنشد له
المافروخي في محاسن اصفهان (٣) :

إذا نظرت صلي عليها مها النقا و ان سفرت صلي اليها جنا الورد

قال في قصيدة (٣) :

سقى قصر المغيرة كل دان أجش الرعد منهمر العوالي
إلى جسر الحسين فشعب تيم فأكناف المصلي فالتلال
فجزعي زرنرو ذفقصر يحيى فمرج الخندقين فذات ضال
فكردا باذ بويه فمسرى نسيم الروض في تلك الرمال

- ١- يتيمة الدهر- ج ٣ ص ٣٠٠ - ٣٠١ ،
- ٢- محاسن اصفهان - ص ٣١ ايضا ، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني
مطبعة المجلس الملي ، طهران ، ص ٧٣ .
- ٣- المرجع السابق - ص ٥٧ ، ٧٣ .

فمستسن السيول بحافتيه فمجري ذلك العذب الزلال
يحبيها الحيا دون السواقى و تشملها الصبا دون الشمال
فيا أسفى على دون المغانى و أيام لنا فيها خوالى
ليالينا بأيروسان ردّى الينا العيش فى تلك الظلال

و قال أيضا (١) :

معاهد كرداباذنرسة أرسلت إليك أكف الغاديات عهداها
ولازال ايروسان لارمل عالج مصاب الثريا تارة و مجاها
مصانع لولاحت لعاد قصورها لآخفين من ذات العماد عمادها

و مما قرأت له فى يتيمة الشعالبى (٢) :

و بعض مذاق العرف مرّ وان حلا اذا لم يكن أحلى من العرف باذله
ومن قصيدته اللامية فى وصف الماء الجارى ، قال الشعالبى هو أحسن
ما سمعت فيه على كثرته (٣) :

وماء على الرضراض يجرى كأنه صفائح تبر قد سبكن جداولا
كأن به من شدة الجرى جنة فقد ألبستمهن الرياح سلاسلا

و عارضها الخوارزمى (٤) فقال فى المعنى :

وماء إذا أبصرت منه صفاءه حسبت نجوم الليل ذابت سوائلا
رأيت سيوفا قد سلن على الثرى وصارت لها أيدي الرياح صواقلا

و من محاسنه السائرة (٥) :

ولم يجتمع كفاه والمال ساعة كأتى و ربا ماله و أنامله

- ١- محاسن أصفهان ص ٥٧ ، ٧٣ .
- ٢- يتيمة الدهر - ج ٣ ص ٣١٣ ، وطبعة صاوى ، ص ٢٨٣ .
- ٣- المرجع السابق - ج ٣ ص ٢٠٦ .
- ٤- أيضا المرجع السابق - ج ٣ ص ٢١٤ .
- ٥- أيضا المرجع السابق - ج ٣ ص ٣١٣ ؟ طبعة صاوى ، ص ٢٨٤ ،

يوجد في كلام الرستمي بعض معان ماخوذة نبه عليها الثعالبي في مواطن عديدة ونحن في غنى عن اعادةتها . اذ لا يخلو كلام اى شاعر مجيد او مطبوع عن شىء من الاستفادة عن غيره من الشعراء و ربما كان الاخذ مع حسن التصرف غير مذموم ولا يبرر اتهامه بالسرقة ولا كان صاحبه محكوما عليه بالسرقة (١). ومما يضاف الى مؤاخذات الثعالبي عليه قوله في مؤيدية ستأتى بطولها :

يخال الرياح الأربع انبعثت معا اذا انبعثت منها قوائم أربع
فان هذا المعنى تقدم به الصنوبرى صاحبنا في مديحه لأبي الحسين
المهاشمى حيث قال (٢) :

يهفوبه تحت العجاجة سابع يهفو بأربعة الرياح الأربع
والعجب ان الثعالبي نفسه أخذ هذا المعنى من أحدهما فقال في
وصف (٣) فرس أصابها هدية من عند الأئمة من أبا الفضل الميكالى :
يامهدى الطرف الجواد كأنما قد أنعلوه بالرياح الأربع
فانظروا كيف يمتاز بيت الرستمي برشاقة اللفظ وجودة الرصف فكأنما هو
فيض خاطر على اننا لا نبخس من حق الثعالبي - على تكلفه - في انعال
جواده بالرياح الأربع ،
ولابى المعتصم عاصم بن محمد الاضطاكى من مقصورة طويلة في
وصف الفرس :

كأنما أربعه اذا تناهبن الثرى
ريج الجنوب والدبو رو الشمال والصبا
أنشدها (٤) أبو الحسن على بن محمد بن المطهر العدوى المعروف بالشمشاطى

- ١- راجع الصناعتين - ص ١٨٦ ،
- ٢- ديوان الصنوبرى - خط . رقم ٢٠٢ (ع) فى المكتب الاسيوى .
- ٣- خاص الخاص - ص ١٨٦ ،
- ٤- كتاب الانوار ومحاسن الاشعار ، الورقة ١٠٤ و ١٠٥ ، نسخة
المكتبة لأحمد الثالث ، رقم ٣٣٩٢ ،

وقال معلقا على ذلك : قول أبي المعتصم "كأنما أربعه"، من قول أعرابي
فكأنه طود اذا عاينته وكان أربعه الرياح الأربع
جمع ثقل الخيل وخفة الرياح في بيت واحد، وأنشدت لأعرابي من
بني أسد يرثي فرسه :

ان الجياد لكل يوم كريمة تبكي لخير مسخر مـ كـوب
و بكى الرهان على أغرهمرجل كالطود جف من الجبال بلوب
و كأنما انتعل الرياح بأربع ينهضن من لبد الثرى بكثيب
زين الجياد بسرجه ولجامه يوم الطراد وزينة التسليب
و كما أن الرستمي ألم ببعض معاني المتقدمين فكذلك ألم ببعض
مبتكراته من تأخر عنه و منهم ابن حيوس الغنوي، أبو الفتيان، الذي قال
في مدح أبي الفضائل سابق بن محمود :

طالما قلت للمسائل عنكم و اعتمادى هداية الضلال
ان ترد علم حالهم عن يقين فالقهم في مكارم او نزال
تلق بيض الاعراض سود مثا رالنع خضرا لا كناف حمرا النصال
أوردها ابن خلكان في الوفيات و اثنى عليه في حسن التقسيم الى ان
قال : و قد ألم بقول أبي سعيد محمد بن محمد بن الحسن الرستمي الشاعر
المشهور من جملة قصيدة يمدح بها صاحب بن عباد . . وهي من
فاخر الشعر و ذلك قوله :

من نفر العالين في السام والوغى وأهل المعالى و العوالى وآلها
اذا نزلوا اخضر الثرى من نزولها و ان نزلوا احمر الثرى من نزالها
هذا والله الشعر الخالص الذى لا يشوبه شىء من الحشو(١). ١٥٠
و أرى المجد الفيروز آبادى أيضا تبعه حيث قال في مدح مولاه

الذى اتخف بالقاموس المحيط مجلسه العالى :

مولى ملوك الأرض من فى وجهه مقباس نور أيما مقباس
بدر محيا وجهه الاسنى لنا مغن عن القمرين و النبراس
من أسرة شرفت وجلت واعتلت من ان يقاس علاؤها بقياس
رووا الخلافة كابرا عن كابر بصحيح اسناد بلا الباس
فروى على عن رسول مثل ما يرويه يوسف عن عمر ذى الباس
و رواه داؤد صحيحا عن عمر و روى على عنه للجلاس
و رواه عباس كذلك عن على و رواه اسمعيل عن عباس

لم نقف للان على مصدر يدلنا على ديوان شعر الرستمي . و كنا
قرأنا له فقط النخب الشيقة التى وقع عليها اختيار الثعالبي فى يتيمة
الدهر . والظاهر انه انتقاها من سفر جامع لشعر أبى سعيد و لكنه
لم يصرح بعثوره على شىء مما يسمى ديوانا او ما يكون سادا مسده .

نعم إنه أنشد فى تنمة اليتيمة أربعة أبيات لأبى حمزة الذهلى رواية
عن أبى طالب الطبرى ثم قال ما نصه — ”ثم وجدته فى شعر الرستمي
من قصيدة (١)“ — فيتوضح من هذا النص ان الثعالبي عثر على سفر
او ديوان يتضمن شعره . و مهما يكن الأمر فانه أورد فى اليتيمة قطعا
من شعره كلها يبلغ (٣٢٦) ثلاثمائة بيت وستة و عشرين بيتا و يضاف
اليها ثلاثة وثمانون بيتا له أوردتها فى ترجمة الصاحب . فصارت
الفلكة أربعمائة بيت و تسعة أبيات .

و ما كنا نظن ان احدا اهتم بشعره مثل ما اهتم به الثعالبي حتى
اتفق لى الوقوف على مجموعة خطية تتالف من عيون الشعر لمختلف
الشعراء و تحتوى من شعره على ثمان قصائد طوال و تبينت بعد استعراضها
على كتاب اليتيمة ان هذه المجموعة تقدم الينا خمس قصائد نادرة مما
لم يتطرق اليه الثعالبي كما انها تحفظ لنا النص الكامل لقصيدتين

اقتضب منهما الشعالي نبذا مستجادة على شريطته المتبوعة في كتابه و خطته المرسومة في انتخابه ، وكل يعمل على شاكته . واتفق في قصيدة وحدها ان تتواطأ اليتيمة و تلك المخطوطة على سردها تامة وهي اللامية التي أولها :

سلام على رمل الحمى عدد الرمل وقل له التسليم من عاشق مثلى (١)
ومن هنا يظهر ان صاحب تلك المجموعة عثر على ديوان شعر الرستمي او مادة ثرة لشعره غير اليتيمة فاستقى منها .

هذه المجموعة التي تحدثت عنها مخطوطة بخط متراوح بين التعليق و النسخي ، خطها على الاقل خط القرن الثامن الهجري ، و ذهب منها بعض الأوراق من مواضع عديدة ، فملا فراغها بعض من استلك النسخة بورقات حديثة العهد استكمالا لما ينقص منها ، ثم لم تنهياً له الاسباب حتى يسد الثلمة و يرأب الثأب .

هي مجموعة قيمة ، رقمها ١١٧٥ (عربي) في خزانة المجمع الأسيوي بكالكوستا تسمى حدائق الأزهار في الملتقط من فائق الأشعار . و تتضمن طائفة كبيرة من قصائد الشعراء المحدثين المقلين الذين لا يني العالم العربي يشيد بذكرهم و يتبجح باننتاجهم الحقيقي ، بالاعجاب على عمر الأجيال و العصور .

هاتيك المختارات انشلمها مؤلف المجموعة من دواوين أصحابها في الغالب و لا يزال بعضها حتى الآن مخطوطا نادرا او مفقودا دائرا .
و هذا هو ثبت الشعراء الذين وقع اختيار المؤلف على قصائدهم و الارقام المثبتة أمام أسائهم تدل على كمية قصائدهم الباقية في النسخة .

١- إبراهيم بن هلال ، أبو اسحاق الصابي (ت) ٥٣٨٤-١

٢- أحمد بن سليمان ، أبو العلاء المعري (ت) ٥٤٤٩-٤

١- راجع يتيمة الدهر- ج ٣ ص ٣١٤-٣١٧ وطبعة صاوي ص ٢٨٥-٢٨٧

- ٣- أحمد بن الحسين ، أبو الطيب المتنبئ (ت) ٥٣٥٤-٤
 ٤- حبيب بن أوس ، أبو تمام الطائي (ت) ٥٢٣١-٧
 ٥- حسن بن علي ، أبو القاسم الباخري (ت) ٩-
 ٦- السري ، الرقاء (ت) ٥٣٦٦-٦
 ٧- عبد الصمد بن بابك أبو القاسم البغدادي (ت) ٣-
 ٨- عبدالله بن حسين ، أبو محمد الخازن (ت) ١٠-
 ٩- علي بن محمد ، أبو الحسن التهامي (ت) ٥٤١٦-٣
 ١٠- أبو بكر العميد القمهستاني (ت) ٢-
 ١١- أبو فراس الحمداني (ت) ٥٣٥٨-١
 ١٢- ابن هندو أبو الفرج (ت) ٥٤٢٠-١
 ١٣- محمد بن الحسين ، أبو الحسن الشريف الرضي (ت) ٥٤٠٦-٦
 ١٤- محمد بن الحسين ، أبو الفضل بن العميد (ت) ٥٣٦٠-١
 ١٥- محمد بن محمد ، أبو سعيد الرستمي (ت) ٥٤٢٩-٨
 ١٦- منصور بن محمد ، أبو حمد المهروي القاضي (ت) ٥٤٤٠-١
 ١٧- ابن نباتة السعدي (ت) ٥٤٠٥ (ناقصه)
 ١٨- نصر بن أحمد ، أبو القاسم الخبزازي (ت) ٥٣١٧-١
 ١٩- الوليد بن عميد الله ، أبو عبادة البحري (ت) ٥٢٨٤-١٣
 ٢٠- من لم يعرف اسمه ٤-٠٠٠٠٠٠٠

٨٦=

فهؤلاء الشعراء التسعة عشر الذين تحوى تلك النسخة المخرومة
 المبتورة على ست وثمانين قصيدة مختارة لهم كالمعجم على
 موهبتهم الشعرية وعلو كعبهم في تاريخ الشعر والأدب العربي .
 أما مؤلفها الذي انتخب تلك الفرائد فقد أعيانى أمره إذ لم أقف
 حتى الآن على خبر يؤثر ، وشأن يذكر ، في المراجع المتداولة . ولكنه
 فيما يظهر من كلامه الموجز في مقدمة هذه المجموعة ، من طبقة الأدباء

الدّواقين و الكتاب المولعين بحر الكلام و جزله . فمهاكم مقالته الوجيزة
التي قدم بها مجموع مختاراته :

”هذا ولما أصبح الولد الأعرز أبو منصور يحيى بن عبدالكريم
الكاتب — دامت سعادته — فائق اقرانه و سابق ميدانه ، و بدا سنا الاقبال
في سيماه ، و اعرب مبتدأ عمره عن مستمهاه ، و غدا نجم نجابته متألقا لأحبا ،
و راح مسك رشده متفتقا فأحبا ، و تبينت مخائل النباهة في أسرته ، و لمع
بدر النبالة في أفق غرته ، اذ حاز على صغر سنه فضل الكبار ، و سما و
لم يدرك بعد خمسة الاشبار ، و وجد طبعه في صناعة الشعر غاية ، و أتقن
انه عن قريب يعود آية ، اقترح على ان اجمع له من الشعر أصلا
رائعا ، يتنعم بين روضه و غديره راتعا ، فعمدت الى ما عندي من
دواوين الشعراء المفلقين الذين لم يشق غبارهم ، و رقمت على جباه
الأيام أشعارهم من المحدثين و المتأخرين ، فاجتيت من كل روض زهرة
و ارتشفت من كل عين ثرة قطرة ، و رتبته على الحروف و سميته حدائق
الاشعار في الملتقط من فائق الأشعاراه .

هكذا ورد الاسم في المقدمة وجاء في طرة النسخة ”المنتقى“
بدل ”الملتقط“ و كلاهما أليط .

هذا و لا نعرف عن عبدالكريم الكاتب أكثر مما تقدم ، و من
المحتمل ان يكون عبدالكريم الكاتب هذا أخا القاضي الفاضل عبدالرحيم
البيساني العسقلاني (٥٢٩ — ٥٩٦ هـ) الذي قرأنا له كتاب عتاب و
تأنيب الى أخيه عبدالكريم ، اذ نال الأئير علم الدين ابن النحاس
بأذى و جفاء — ابن العديم العقيلي في تذكرته (مختارات من أدب
العرب : ج ٢ ص ٩٠ — ٩١ ، الدكن) .

ولعله هو المؤلف لهذا المجموع الأنيق و لا عن ولده أبي منصور
يحيى الذي لاجله انبرى المء لف يتصدى لانتفاء هاتيك المختارات ،

و جمعها على الحروف في صورة الكتاب . غير ان الظاهر من صنيعة هذا ان معرفته بالشعر وعلاقته بالأدب لم تكن جعجعة بلا طحن أو قعقعة، بلا سلاح، و النظرة العابرة على الثبت المقدم للشعراء توضح قيمة صنعه، وتبين عن فضله ، في تمييز الجيد من الرديء ، و تصديه للتم دون السقط ، حيث انه لم يقع اختياره على شاعر خامل ، ولا على تبهرج من الشعر كما سد ، و طالما عرف الكتاب بفضل براعتهم في الباب ، وجاء في حقهم عن الأديباء الأقطاب - "ان الكتاب دهاقين الكلام" (١)

ولما كانت قصائد أبي سعيد الرستمى من النوادر الضالة ، خلا القسم المحفوظ منها في يتيمة الثعالبي و الشوارد المفرقة في غيرها من الكتب ، رأيت ان أنشرها تيك النوادر في مجموعة مفرزة و اضيف اليها ما أورد الثعالبي من شعر صاحبنا مع سرد الشوارد المفرقة التي اطلعنا عليها عند غيره ، و اخترت لها سمة (الرستميات) . و هي لعمرى أوفى السمات و ذلك ان الشاعر نفسه يباهى بتلك النسبة و لم يرض بغيرها سمة لابكار قوافيه و مشاركة لعقائل فكرته . و ناهينا قوله الآتى حجة مقنعة :

من الرستميات اللواتى اذا انتمت دعت حى كسرى دون حى مناة

انى مع قلة البضاعة لم آل جهدا في اخراج نصوصها على ما يرام فنبهت على تصحيقات عديدة تسربت الى الاصل المخطوط . و عقلت على أماكن شتى حول كلمات دخيلة . و صيغ نادرة كما أشرت الى بعض النكت التاريخية أو الأدبية و ما اليها ، و قد ورد على هوامش الأصل تعليقات وجيزة ، لا أدري هل كتبها الملتقط نفسه أم آخر غيره بيانا للمعزى و ايضاحا للمعنى ، فاقترضت منها ما رأيت في اثباته فائدة و تركت ما لم أر تحته كبير طائل . و بقيت هناك كلمات يسيرة لم أهتد الى تصويبها فاكثفت بنقلها طبق الأصل و الله و لى التوفيق .

أبو محفوظ الكريم معصومى
أستاذ التفسير و الحديث

المدرسة العالية ، كلكتا ، بالهند

فهرس المراجع المهمة

- ابن الاثير — اللباب في تهذيب الانساب ، القاهرة ، ١٣٥٧ ،
 ابن الجوزى — المنتظم ، حيدرآباد ، الهند .
 ابن خلكان — وفيات الاعيان ، تحقيق محيى الدين عبدالحميد ، مصر ١٩٤٨ م ،
 ابن السبكي — طبقات الشافعية الكبرى ،
 ابن سيده — المخصص ، طبع مصر ، ١٣١٦ هـ ،
 ابن عبد ربه — العقد الفريد ، طبع مصر ، ١٣٠٢ هـ ،
 ابن قتيبة — كتاب المعاني الكبير ، حيدرآباد ، الهند ، ١٩٤٩ م ،
 ابن منظور — لسان العرب ، طبع مصر ، ١٣٠٠ هـ ،
 انند راج — فرهنك انند راج ،
 أبو تمام — كتاب الحماسة ،
 أبو حنيفة الدينورى — الاخبار الطوال ، طبع مصر ،
 أبو الفرج الاصبهاني — كتاب الاغانى ، طبع مصر ، ١٣٢٣ هـ ،
 أبو نعيم الاصبهاني — اخبار اصفهان ،
 أبو هلال العسكري — الصناعتين ، الطبعة الثانية ، مصر ،
 الباخريزى — دمية القصر ، تحقيق محمد راغب الطباخ — حلب ، ١٩٣٠ م ،
 البستاني ، سليمان — دائرة المعارف ،
 البستاني ، عبدالله — محيط المحيط ،
 بشر بن ابي خازم — ديوانه ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق ، ١٩٦٠ م ،
 التبريزى ، زكريا — تهذيب الاصلاح ، ط. السعادة ، مصر ،
 الشعالبى ، أبو منصور — تتممة اليتيمة ،
 خاص اليخاص ، تحقيق الشيخ محمود السمكرى ، مصر ١٨٠٩ م ،
 المنتحل تحقيق أحمد ابي على ، الاسكندرية ١٣١٩ هـ ،
 يتيمة الدهر ، تحقيق محيى الدين عبدالحميد مصر ومطبعة الصاوى ١٩٣٤ م ،
 الخفاجى — سر الفصاحة ، تحقيق على فوده ، مصر ، ١٩٣٢ م ،
 الخفاجى — شفاء العليل ،
 الخوارزمى التنوير على سقط الزند ،
 دهخدا — لغت نامه ،
 الرازى — مفاتيح الغيب ،
 الرقاء ، السرى — ديوانه ،
 الزبيدى ، مرتضى — تاج العروس ، طبع مصر ، ١٣٠٦ هـ ،
 الزمخشري - الاساس ، طبع مصر ١٣٤١ هـ ،
 السمعانى ، كتاب الانساب ، تذكراغب ، ١٩١٢ م ،
 السيوطى — بغية الوعاة ، طبع مصر ، ١٣٢٦ هـ ،
 تاريخ الخلفاء ،
 الشرتونى — أقرب الموارد .

- الشريشى — شرح المقامات الحبرية ،
 صريح الغوانى — ديوانه ، طبعة دخويه ،
 الصنوبرى — ديوانه ، مخطوطة برقم ٢٠٢ (ع) فى المكتب الأسيوى كلكتا .
 الطبرى — تاريخ الأمم والملوك ، طبع المطبعة الحسينية فى القاهرة ١٣٢٦ هـ ،
 العباسى ، حسن بن عبد الله — آثار الأول ، ط ، مصر ١٢٩٥ هـ ،
 عبد المعيد خان — مقاله فى مجلة اسلامك كلچر الجزء ال ١٧ ، حيدرآباد ، الهند .
 العتبى — اليمينى ، طبع لاهور سنة ١٣٠٠ هـ ،
 القزوينى ، زكريا — عجائب المخلوقات ،
 المافروخى — محاسن اصفهان ، تحقيق السيد جلال الدين الحسينى ، طهران
 ، ١٩٣٣ م ،
 المتنبى — ديوانه ،
 المسعودى — التنبيه و الأشراف ، تحقيق عبد الله اسمعيل الصاوى ، القاهرة ،
 ، ١٩٣٨ م ،
 المعرى — سقط الزند ،
 عبث الوليد ، تحقيق محمد عبد الله المدنى ، دمشق ١٩٣٦ م ،
 المقرئى — المواعظ و الاعتبار ،
 المنينى — الفتح الوهيبى ، سنة ١٢٨٦ هـ ،
 (مؤلف مجهول) — مجمل التواريخ ، تحقيق ملك الشعراء بهار طهران ١٣١٨ ش
 (تأليف سنة ٥٢٠ هجرية) ،
 هندوشاه — تجارب السلف ،
 ياقوت — ارشاد الأريب ، طبع القاهرة ، ١٣٥٥-١٣٥٧ هـ ،
 معجم البلدان ، طبع ليبزغ ، ١٨٦٦-١٨٧٠ م .